

## مثقفون من أجل التغيير

يبدو العالم العربي، اليوم، مثخنا بالجراح والانكسارات الكبرى، والانقسامات، وهيمنة التقاطبات الحادة التي تسعى إلى إلغاء مبادئ المشترك والجامع والمنفتح، حيث لا صوت يعلو على صوت التشرذم والطائفة والقبيلة والمذهب. وفي أحسن الأحوال الدولة القطرية القائمة على كل ذلك، ولاشك أن وضعاً مثل هذا يستدعي إعادة النظر في الكثير من المفاهيم التي وجهت تاريخ هذه الأمة، واختياراتها الكبرى التي ينبغي أن تقارب بروح نقدية مسؤولة ومنفتحة على مستقبل إيجابي، يؤكد على أهمية الانتماء الحضاري إلى المنطقة، ويميز بين واقع التقسيم السياسي ومظاهر الوحدة الثقافية، ويدعو إلى التأسيس لتيار ثقافي جديد مقتنع بتعدد المكونات الثقافية للأمة وتنوعها، لكنه مؤمن، أساساً، بوحدة ألقها المستند إلى مرتكزات الديمقراطية وثقافة حقوق الإنسان التي لا تعلي من شأن إحداها على حساب الأخرى، بل تنظر إليها على قدم المساواة، وتعتبر وجودها ضرورة للغي الثقافي المؤطر للأمة ولهويتها المتفاعلة والمنسجمة.

ولاشك أن تصوراً مثل هذا يحتاج منا إلى تقييم موضوعي لمسار الأمة واختياراتها كي لا نعيد تكرار أخطاء ما سبق، بل نحولها إلى موجه وطاقة دافعة. فرغم مآسي سنوات القرن العشرين بأكملها، فإن حقبة التسعينيات وما تلاها جعلت انحدار الأمة العربية إلى قعر المعاناة والتشرذم والصراع الطائفي أقسى، بل وأصبحت مختبراً لتنفيذ مخططات (صراع الحضارات والثقافات) وغيرها من المفاهيم التي عملت على ترسيخ فوضى هدامة؛ حيث أصبحت المشاريع المطروحة، فكرياً و سياسياً، ذات صلة بخطابات تجزئية أو فئوية وإقصائية، وغابت المشاريع التي تجعل المشترك مبنياً على مساحة التوافقات الممكنة، والتي تنطلق من نقد ذاتي يعيد مراجعة تجارب ومواقف الحركات الفكرية والسياسية السابقة في أفق يتجاوز جوانب قصورها الذي ارتبط بسياقات تاريخية معينة.

وهكذا، فأيا كان رأينا في المشاريع العربية التي تراجعت منذ سبعينيات القرن الماضي، فقد كان هذا التراجع نتيجة لعوامل خارجية تمثلت في العدوان الإسرائيلي عام 1967، والهجمة الغربية، والعوامل الداخلية التي تمثلت في معاداة الديمقراطية وسيادة النزعة الإقصائية والتمهيشية لدى بعضها، فلم تعترف بدور ومكانة وحقوق المجموعات الثقافية الأخرى؛ مما عرضها لإقصاء ممنهج ترتبت عنه تبعات خطيرة، وردود أفعال تبدد أي توجه إيجابي للقاء، وتنمية المشترك لإيجاد مشروع جامع (وحدوي) يحترم حقوق ومصالح كل الأطراف، ويسعى لتنميتها جميعها دون منح إحداها صفات المواطنة الامتيازية، ومنعها عن الآخرين.

لقد أدى عدم إيجاد بديل يتلافى أخطاء هذا المشروع، وينطلق للنهوض بالأمة بكافة مكوناتها الداخلية، وبتشبع فعلي بالأبعاد الإنسانية والكونية إلى الوقوع في حالة من الانقسام والتراجع والانهييار، والافتتال الداخلي، وتراجع الانشغال بالقضايا الكبرى. وهو الوضع الذي جرى استثماره لتوجيه الأمة في اتجاهين مدمرين:

- يتمثل الاتجاه الأول في محاولة التعويم والإلغاء، ووضع الأمة في حالة من التيه، وفقدان الوعي والعمل على إضعاف وتمهيش العالم العربي بكل مكوناته بترسيخ مفاهيم مغايرة، تؤسس لشرق أوسط جديد، أو كبير أو ماشاكل ذلك.. وهي المفاهيم المنبثقة عن التصورات التقسيمية ذات الصلة بفوضى يسمونها خلاقة، أو صراع حضارات نظر له كثيرون انطلاقا مما تمليه عليهم مصالحهم:

- يتمثل الاتجاه الثاني في محاولة التشويه والتخلف والإخراج من العصر كليا باعتماد مشروع الحركات الأصولية المتطرفة، والدويلات الطائفية، ودولة الخلافة في إطار تصورات وممارسات نكوصية معرفيا وحضاريا وثقافيا.

ورغم أن هذا التوصيف مجرد اختزال لواقع أكثر تعقيدا، فإنه يفسر الكثير من سلبيات الممارسات، ويبرز دور العوامل الخارجية في خلق الشرخ الثقافي والنفسي والتمكين له بمختلف

الوسائل، والسهر على نجاح التشرذم الجغرافي في هذا العصر الذي يتصف بالعملة والتوجه نحو التجمعات الكبرى من أجل تحقيق أكبر تنمية ممكنة، وأكبر قدر من الاستقلال والسيادة. وهنا المفارقة الكبرى، ففي الوقت الذي تعمل فيه تلك المجتمعات على البحث عما يجمعها ويقويها، يتم العمل في منطقتنا على ترسيخ كل ما يدفع إلى التناحر والمواجهة وترسيخ منطق الهويات القاتلة والمغلقة والضيقة.

في مواجهة هذه المشاريع المخطط لها نظرياً، والمجسدة على الأرض بالحديد والنار، ينبغي العمل على خلق مشروع بديل يتسع لجميع المكونات الإقليمية خارج دائرة التصنيفات الضيقة، والانتماء الهوياتي المحدود؛ مشروع يضم كل من يقدر أهمية المشترك الإقليمي الذي يجعل التنسيق أمراً طبيعياً، دون تقوقع يلغي طابعه الإنساني. وأن يكون هدفه تبني منظومة قيم أخلاقية تواجه فكر الاستبداد المحلي و الكولونيالية الخارجية. وفي الوقت نفسه رفض المشاريع النكوصية والانغلاقية. إن الدليل على أهمية أن يكون هذا التحرك إقليمياً هو أن التحرك الإلغائي المضاد هو على مستوى الإقليم أيضاً؛ فمشاريع " الشرق الأوسط الكبير " بكافة أشكالها هي مشاريع إقليمية، ومشروع داعش ومثيلاتها هو مشروع إقليمي كذلك، كما أن هذا الزمن جعل الفكر بدون حدود ؛ فالفتوى تصدر من شيخ في مكان ما لتؤثر في أي مكان، لذلك فالرد على المشاريع المضادة الإقليمية ينبغي أن يكون إقليمياً كذلك. واستجابة لذلك فإننا نرى بأنه بات من الضروري العمل على إنشاء تيار ثقافي يسعى إلى العمل على تنشيط الأجواء الثقافية ، واستنهاض طاقات المثقفين الغيورين على مستقبل الأمة لتحقيق أمرين أساسيين:

- الأول: إعادة صياغة مفهوم الأمة بتصور جديد يتجنب أخطاء الماضي لا سيما التنكّر لحقوق المجموعات الثقافية الدينية والإثنية واللغوية وغيرها، الموجودة في هذا الفضاء الجغرافي الممتد من المحيط إلى الخليج، وجميع التوجهات الروحية والإيمانية، بشكل يجعل هذه الأمة مكونة من مواطنين متساوين بشكل مطلق في الحقوق والواجبات، ويجعل الهويات الثقافية مصدر غنى

لوحدة تعاقدية وتوافقية تنظر بعين المساواة للجميع مع وجود سقف جامع هو مصلحة هذا الفضاء الممتد جغرافيا من المحيط إلى الخليج؛

- الثاني: تبني المشروع النهضوي الديمقراطي الإنساني الحضاري التنويري القائم على قواعد وقيم حقوق الإنسان والتسامح والسلام والمساواة والحريات والشراكة والعدالة والتنمية المستدامة للجميع.

إن هذين الأمرين الأساسيين يرتبطان بتصورات جامعة لتعزيز عوامل الوحدة والتعاون دون أن تُعنى بالتدخل في الشؤون الداخلية للدول، واختياراتها، بل إنه شديد الحرص على قوتها ومناعتها مع التطلع إلى اعتبار أي وحدة أو تقارب أو تنسيق بين هذه الدول يجعلها أطرافا قوية وفعالة .

وكي يتحقق ذلك تأتي مبادرة «مثقفون من أجل التغيير» باعتبارها دعوة مفتوحة إلى إعادة النظر في كافة القنوات المنتجة للقيم كالتعليم والمناهج التربوية والإعلام والمؤسسات الدينية، ..وفي الوقت نفسه فهي دعوة إلى إعادة كتابة التاريخ الذي يسمح بإبراز الأدوار الحقيقية لجميع مكونات الأمة دون انحياز لطرف على حساب آخر، ودون مبالغة في دور أحد. أو انتقاص من دور أحد. كما تحرص المبادرة على جعل القضايا الكبرى للأمة أولويات ضرورية، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، ليس فقط لأنها قضية احتلال و اغتصاب لجزء منها، وليس كذلك لأنها قضية إنسانية وأخلاقية، ولكن لأن هذه القضية نشأت أصلا من أجل الإطاحة بالأمة، وإفقادها إمكانات نهوضها، وكون الموقف الموحد من القضية يشكل رافعة مهمة في طريق تمكين الأمة بهويتها الإنسانية الجديدة القائمة على وحدة المتعدد بعد الإقرار بحقه في الوجود، والقيام بنقد ذاتي لما تم تبنيه أو اعتماده في الفترات السابقة في أفق الاستفادة منه، وهو ما يعني إعادة النظر في الكثير من المفاهيم التي عاشت بيننا ، ووجهت أفقنا واختياراتنا؛ ذلك أن منطق الثقافة الأرقى والأحسن والأعظم لن يكون له محل من الوجود لأن العلاقة

ينبغي أن تقوم على التكافؤ والمساواة والتفاعل الإيجابي ورفض فكرة "الأقليات" أو مفاهيم "الشعوب الأصلية" أو غيرها مما يرسخ لنظرة متعالية أو تعتمد منطق المظلومية التاريخية دون أن تدري أنها تسهم في التمكين لما يقسم ويفرق ويضعف.

وسينصب جزء من اشتغال ( مثقفون من أجل التغيير) على مكونات الأمة وما يرتبط بها؛ لأنها وإن كانت تمثل هوية خاصة، فإنها في الوقت نفسه جزء من الحضارة والثقافة العالميتين، وهويتها مثل غيرها من الأمم الحية مفتوحة وتقبل التفاعل والتبادل، وهي ليست كياناً ثابتاً ومغلقاً. وهويتها تتفاعل بالتأثير مع الهويات الأخرى، لا سيما التي تعيش وتتعايش في المنطقة ذاتها. لتشكل عبر صيرورة الزمن بُعداً إنسانياً مفتوحاً يقبل الآخر ويؤثر فيه ويتأثر به.

إن الإطار الأنسب لمواجهة التحديات، لا سيما الخارجية، إضافة إلى الداخلية هو الإقرار بالتنوع الثقافي والتعددية بأشكالها المختلفة الدينية والقومية واللغوية والاجتماعية وغيرها، وهو الأمر الذي يتطلب انفتاح مختلف المكونات على بعضها وفقاً لمبادئ المواطنة المتساوية و المتكافئة، ويمكن ل( مثقفون من أجل التغيير) أن يلعبوا دوراً ريادياً على صعيد الدفع باتجاه بلورة مشروع تجديد حضاري يستجيب لطموحات الأمة ويرتبط بمستقبلها انطلاقاً من واقعها الحالي، وذلك بتجاوز مظاهر التعصب والتطرف والتمذهب والطائفية والعنف، خصوصاً بتعزيز المشترك الإنساني بين مكوناتها المختلفة وهوياتها الفرعية وتعدديتها في إطار الوحدة الجامعة والهوية المشتركة، تلك التي تمثل الاغتناء والإضافة عن طريق التكييف والتمثل، لا القطاعات التي تكون نتائجها وخيمة على المجتمعات. ومعنى ذلك أن هذه المكونات ليست مغلقة تماماً، لكنها ليست منفتحة انفتاحاً متسياً؛ لأن ذلك سيعرضها للتلاشي والزوال لعدم توفرها على مناطق جذب وثوابت بنيوية تضمن لها الاستقرار والحيوية في الوقت نفسه.

## الموقعون

البلد	الصفة	الإسم
فلسطين	باحث أكاديمي- رئيس تحرير مجلة تسامح	د. إياد البرغوتي
المغرب	أستاذ التعليم العالي – فاعل مدني	د. جمال بندحمان
العراق	أكاديمي ومفكر	د. عبدالحسين شعبان
الجزائر	أستاذ التعليم العالي	د. عروس الزبير
تونس	باحث وناشط مدني	ذ. عبدالرزاق العياري
اليمن	أستاذ في مركز الدراسات والبحوث اليمني	د.محمد أحمد علي المخلافي
العراق	أستاذ جامعي	د. شيرزاد احمد أمين النجار
مصر	مفكر وباحث	د. حلمي شعراوي
السعودية	كاتب	د.محمد محفوظ
لبنان	إعلامي وفاعل مدني	ذ.وفيق الهواري
الكويت	مفكر وكاتب	د. حامد الحمود
تونس	كاتب وصحفي	ذ.صلاح الدين الجورشي
الأردن	أكاديمي وأستاذ جامعي	د. أحمد نوفل
فلسطين	البطيريك السابق للقدس والديار المقدسة	-البطيريك ميشيل صباح
موريتانيا	أكاديمي	د. محمد ولد فال
تونس	فاعلة مدنية	ذة. ليلى الشابي
المغرب	باحث في علوم التربية وفاعل مدني	ذ.عبدالغني عارف
المغرب	باحثة في علم الاجتماع	ذة. نجاة الوافي
مصر	أذعلوم سياسية جامعة القاهرة	ا.د.احمد يوسف احمد
فلسطين	الكاهن الأكبر للسامريين	-عبدالله الكاهن
فلسطين	مطران سبسيطة	-المطران عطا الله حنا
فلسطين	أكاديمي وكاتب	-د. إبراهيم أبراش
لبنان	مفكر إسلامي	الشيخ حسين شحادة
فلسطين	كاتب وداعية اللاعنف	-الشيخ زهير الدبعي
فلسطين	كاتب وباحث	ذ. زياد عثمان

فلسطين	كاتب وباحث	-د. عبد المجيد سويلم..
العراق	أستاذ جامعي	د. نجدت صبري عقراوي
الجزائر	باحثة	ذة. مريم بوزيد سابو
الجزائر	أكاديمي	د. العياشي عنصر
الجزائر	أكاديمية	د. ويزة فالاز
الجزائر	أستاذ التعليم العالي	د. بوكلا مراد
فلسطين	شاعر	ذ. عامر بدران
فلسطين	باحث وناشط مدني	ذ. علي أبو هلال
اليمن	أكاديمي	د. قادري احمد حيدر
اليمن	أكاديمي	د. عادل الشرجي
اليمن	كاتب	ذ. علي الصراري
فلسطين	أكاديمي وكاتب	-د. سامي الكيلاني..
فلسطين	كاتب وباحث	ذ. سعيد كنعان.
العراق	فنان وشاعر	ذ. عمران القيسي
تونس	أستاذ علم الاجتماع	-د. محمد الجويلي
فلسطين	كاتب وناشط مدني	ذ. محسن ابو رمضان..
المغرب	طبيب وفاعل مدني	د. عصام الجابري
تونس	باحثة وفاعلة في المجتمع المدني	-ذ. مريم جاب الله
مصر	كاتب ووكيل نقابة الصحفيين الأسبق	د. عبد العال الباقوري
مصر	أستاذ بكلية الطب جامعة القنال	ذ. الدكتور ايمان يحيي
مصر	أستاذ بمعهد التخطيط القومي	د. محمد عبد الشفيق عيسي
المغرب	باحث أكاديمي وفاعل نقابي	د. محمد خفيفي
فلسطين	ناشط مدني	-ذ. إسحاق رضوان السامري
فلسطين	أكاديمي ومؤرخ	د. جمال جودة
المغرب	باحث وإعلامي	د. عبد الحق لبيض
اليمن	أكاديمي	-د. يحيى صالح محسن
مصر	استاذة علوم سياسية جامعة القاهرة	ذة. نيفين مسعد
المغرب	فاعل مدني	ذ. خالد العلي
اليمن	أكاديمي	د. عبد الله عوبل
اليمن	أكاديمي	د. اروى عبده عثمان
اليمن	كاتب وشاعر	ذ. محمد الشيباني
تونس	ناشط بالمجتمع المدني	ذ. رضا بن عبد الفتاح
اليمن	أكاديمي	-د. محمد الكامل

فلسطين	صحفي وكاتب	ذ. أكرم عطاالله..
اليمن	أكاديمي	-عبدالقادرعلي عبده
المغرب	شاعر وفاعل مدني	ذ. حنيف نورالدين
تونس	باحث وناشط مدني	- ذ. شكري الجسني
فلسطين	كاتب وباحث	ذ غازي الصوراني
تونس	ناشطة بالمجتمع المدني	ذة صبرين بن عبد الفتاح
اليمن	كاتب وشاعرو قاص	ذ.عبدالفتاح عبدالولي
اليمن	كاتب	ذ.محمد قاسم نعمان
اليمن	كاتب وناقد	ذ. منصور هائل
تونس	ناشطة بالمجتمع المدني	ذة. نهلة عنان
اليمن	أكاديمي	-ذ. عبدالرحمن عمرالسقاف
تونس	أستاذة جامعية	ذة. منجية السوايحي
فلسطين	كاتب وباحث	ذ. طلال أبوركبة